تحولات الاستعارة من البلاغة التقليدية إلى اللسانيات العرفانية.

Metaphors shifts from traditional rhetoric to cognitive linguistics

د، سهام رابح[1]

Siham rabah

، جامعة سكيكدة.

Skikda University.

rabahsiham21@gmail.com

تاريخ الاستلام:2019/02/06 تاريخ القبول: 2019/03/06 تاريخ النشر: 2020/03/22

ملخّص:

يتحدد مفهوم الاستعارة في على أنه عملية استبدال عن معنى حرفي إلى آخر مجازي إلا أنها اتخذت في النسق البلاغي الجديد الذي انفتح على ما يسمى العرفنية مسارا جديدا ،تكون فيه الاستعارة العرفانية عملية إدراكية كامنة في الذهن تؤسس أنظمتها التصورية ،وتحكم تجربتنا الحياتية ،أي أن الاستعارة في جوهرها مازالت ذات طبيعة تصورية لا لسانية ، إنها عملية تقوم على استغلال آلة الذهن في إدراك ما حولنا بخلق مجال مشابه له يؤدي إلى تصور ما لا نستطيع أن ندركه لطبيعته الخيالية ، فنحيا فيه من خلال ذلك التصور ،و في إطار هذه المشابهة و الخلق الجديد ظهرت أنماط مخالفة حددها كل من "لايكوف" و "جونسون" كالتالي :استعارة بنوية ،أنطولوجية ،واتجاهية.

من هنا برزت العديد من المفاهيم الجديدة كالفضاء الذهني و الاستعارة المفهومية والذهن المجسدن... فما هي حدود العلاقة بين الاستعارة بالمفهوم التقليدي و ما يقابلها في النسق العرفاني؟ ، ثم ما هي آلياتها الإجرائية على نصوصنا ؟

Abstract : The concept of metaphor is defined as a process of substitution from one literal meaning to the other metaphorically. However, in the new rhetorical format, which opened up to the so-called erudition, a new path has been developed in which mysticism is a cognitive process in the mind that establishes its conceptual systems and controls our life experience It

[1]- **المؤلف المرسل:** د، سهام رابح ، **الإيميل** : rabahsiham21@gmail.com

is essentially a process of using the mind machine to realize what is about us by creating a similar field that leads to the perception of what we can not recognize for its imaginary nature. The new creation and emergence of different patterns identified by Lajkov and Johnson as follows: binocular, anological, and directional metaphor.

Hence, many new concepts emerged, such as mental space, conceptual borrowing, and the embodied mind. What are the limits of the relationship between metaphor in the traditional concept and the corresponding in the ecclesiastical pattern? , Then what procedural mechanisms on our texts?

مقدمة:

- **الاستعارة.**

أولا: نحو ضبط مفهوم الاستعارة في البلاغة التقليدية: تعد الاستعارة أحد وجوه البيان العربي الذي يعد بدوره أحد المباحث الثلاث للبلاغة التقليدية بالإضافة إلى علم المعاني وعلم البديع فماهي الاستعارة ؟

أ- **التحديد اللغوي:** حاول العديد من الدارسين الذين يمثلون النظرة التقليدية إدراج الاستعارة في مجال البحث اللساني ،وعليه فقد ارتأى الكثير من اللغويين ضبط حدودها المفهومية في جملة من المعاجم اللغوية فكانت كالتالي:

أظهرها أول معجم –العين- على أنها " من الأخذ و العطاء بقوله" ويتعاورون ،يأخذون ويعطون[1]، ومن مادة (عير)إلى مادة(عور)،حيث ورد في معاجم أخرى من لفظ الإعارة و المعاورة كالتالي:"العارية والعارة: ما تداولوه بينهم ،وقد أعار الشيء ،و أعاره منه و عاوره إياه ،و المعاورة و التعاور :شبه المداولة ،

و التداول في الشيء يكون بين اثنين ...،وتعور و استعار: طلب العارية واستعاره منه :طلب منه أن يعيره إياه".[2] لنلاحظ أن معنى الاستعارة في كلا التحديدين اللغويين لا يخرج عن معنى الأخذ والرد و التبادل ـ على أن في الثاني إيحاء غير مقصود بانفتاحها على معنى التداول الذي بات بيت القصيد في الاستعارة العرفانية المنفتحة على الأنساق الفكرية.

ب- **التحديد الاصطلاحي:**

-**عند العرب:** حاول" ابن سينا " ضبط مفهوم واضح للاستعارة وهي بالنسبة له وسيلة جمالية قوامها التبديل فحكى عنها إلى جانب مجموعة من العناصر المكِّنة للشعرية

كالتالي:"أما الكلام في الشـــعر وأنواع الشـــعر ،وخاصـــة كل واحد منها،ووجه إجادة قرض الأمثال و الخرافات الشـــعرية ،وهي الأقاويل المخيلة ،وإبانة أجزاء كل نوع بكميته وكيفيته، فسنقول فيه إن كل مثل و خرافة إما أن يكون على سبيل تشبيه بآخر ،وإما على سبيل أخذ الشيء نفسه ،لا على ما هو عليه ،بل على سبيل التبديل ،وهو الاستعارة و المجاز ،وإما على سبيل التركيب منهما". وتورد الدراسات أن "الجاحظ" هو أول من عرض إلى مفهوم الاستعارة وأقر أنها :"تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه".[3]

ووضحها أخرون على أنها :"ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء ،وإذا ثبت أنها ادعاء معنى الاسم للشيء علمت أن الذي قالوه من أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ونقل لها عما وضـعت له كلام قد تسـامحوا فيه :لأنه إذا كانت الاسـتعارة ادعاء معنى الاسم ،لم يكن الاسم مزالا عما وضع له بل مقرا عليه ".[4]

يعرفها أحد الدارسـين بقوله:" ومما اشـتق من المسـتعار :أعور الفارس، بدا منه موضـع الخلل ،ومكان معور ،ذو عورة ...وقد أعور لك الصيد و أعورك ،أمكنك ،و تعاوروه بالضرب و اعتوروه ،و تعاورت الرياح رسم الدار ،واستعار سهما من كنانته ،و أرى الدهر يستعير في شبابي، يأخذه مني ،و استعار سهما من كنانته، وسيف أعيرته المنية ،قال وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع"[5].

ويعرفها آخر بقوله :"الاستعارة أفضل المجاز، و أول أبواب البديع ... ،والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارا ،ودالة ليس ضرورة ؛لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ،وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم ،فإنما استعاروا مجازا و اتساعا ،ألا ترى أن للشيء عندهم أسـماء كثيرة وهم يسـتعيرون له مع ذلك ؟على أننا نجد أيضـا اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة...وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ،ولكنه من الرغبة في الاختصار ،والثقة بفهم بعضهم عن بعض".[6]

- **عند الغرب:** يمكننا العودة من أجل تأصـيل مفهوم الاسـتعارة عند الغرب إلى ما قدمه "آرسـطو" الذي نظر في كل تفاصـيلها بداية مع مفهومها و الذي ضـبطه –حسـب ما أورده يوسف أبو العدوس ص 57 -كالتالي:"الاستعارة هي نقل اسم شيء إلى شيء آخر". وقد كان

هذا التعريف مرجع أصحاب النظرية الاستبدالية التي تحاول تفسير الاستعارة على أنها نقل و استبدال حاصل بين شيئين أو تحديدا بين لفظين بشروط كان قد حددها أيضا ""آرسطو.

كما نظر إليها العديد من المهتمين بالجمالية وإبداعية النصوص على أنها من الضرورات التي يخرج إليها الاستعمال اللغوي الباغي التفرد و التميز من ذلك ما عرضه "لونجينس""**Longinus**" من كونها " ضرب من المهارة في ابداع الصورة وأحد مصادر الرفعة الأسلوبية".[7]

ومثل ذلك ما ذهب إليه "كونتليان""**quintilian**" الذي عدها:" أجمل أنواع المجاز الكلامي ،وفائدتها نابعة من إحدى النقاط التالية:

-الحيوية و الوضوح.

-الاختصار.

-التعظيم.

-التزيين .

-التصغير.

-تجنب القول الفاحش"[8].

كثيرا ما عرفت الاستعارة على أنها تشبيه حذف أحد طرفيه فتكون بذلك على نوعين إما مكنية أو تصريحية أو قد تتعدى هذا الطرح لتكون في النوع الثالث وهي الاستعارة التمثيلية ،كما عرفها آخرون على أنها :"تجسيد للمحذوف ببديل له هو الموجود ،فيبدو القديم في شكل جديد ،و يفهم المجهول من خلال هذا المعروف ،وبذلك تتضح الصورة في ذهن المستمع".[9] إن بحث موضوع الاستعارة من قبل جموع الدارسين قد أوكلها إلى العديد من التصورات التي حاولت ضبطها في شكل نظريات تحت ما يسمى بالنظرية الاستبدالية و نظرية السياق :أما الأولى فتعرفها في علاقتها بغيرها من الوسائل البلاغية القائمة على علة المشابهة كالتشبيه وتشرح ذلك على النحو التالي:" الاستعارة علاقة لغوية تقوم على المقارنة ،شأنها في ذلك شأن التشبيه ،و لكنها تتمايز عنه بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة ،أي أن المعنى لا يقدم فيها بطريقة مباشرة بل يقارن أو يستبدل مع غيره على أساس من التشابه ،فإذا كنا نواجه في التشبيه طرفين يجتمعان معا

،فإننا في الاســتعارة نواجه طرفا واحدا يحل محل طرف آخر ويقوم مقامه ،لعلاقة اشــتراك شبيهة بتلك التي يقوم عليها التشبيه"[10].

وأما الأخرى(نظرية السياق) فتنظر إليها بصفة أعمق وأكثر إنتاجية على اعتبار أنها قيمة مضــافة في اللغة بانفتاحها على التجديد و مجافاة المألوف إن الاســتعارة هي :"عملية خلق جديد في اللغة ،ولغة داخل اللغة ،فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات ،فيها تحدث إذابة لعناصــر الواقع لميعاد تركيبها من جديد ،،وهي في هذا التركيب الجديد كأنها منحت تجانســا كانت تفتقده ،فهي بذلك تبث حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرتيبة ،وبهذا تضــيف وجودا جديدا ،أي تزيد الوجود الذي نعرفه ،هذا الوجود الذي تخلقه علاقات الكلمات بواسطة تشكيلات لغوية عن طريق تمثيل جديد له ...الاستعارة هي العنصر الذي لابد منه لربط ســياقين ربما يكونان بعيدين جدا أو على الأقل يكونان في المنهج العادي للحياة غير مرتبطين".[11] بالإضــافة إلى ما يســمى بالنظرية التفاعلية ،وهي مما كان له شــديد الأثر في مجال النقد الغربي و العربي على حد سواء لانسجاما مع متطلبات الظاهرة الشعرية و حســاســية النظر إليها لحظة المقاربة، لقد أكدت هذه النظرية على أن حقيقة الاســتعارة "تتجاوز الاقتصــار على كلمة واحدة ،وهي تحصــل من تفاعل الكلمات فيما بينها ،ثم من التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز ،والإطار المحيط بها "[12]

وهي بالإضــافة إلى ذلك :"وســيلة أســاســية تســاعد الإنســان على التعبير عن إمكاناته ،وقدراته وعلى النظر إلى الأشــياء من زوايا غير مســبوقة تســاعده على إبداع الترابطات ،وملاحظة التشــابهات بين الأشياء ،و بذلك تصبح الاستعارة وسيطا ثقافيا يمكن من تطوير المعارف و ابتكار التصــورات ...إنها عملية تنظيم لغتنا و فكرنا و ســلوكنا ،و معظم أعمالنا اليومية وتصاحبنا في كافة أوقاتنا"[13].

ولعلنا نلاحظ هذه النظرة الجديدة لدى المحدثين و التي لا تكون مستقاة إلا من التصور الغربي لها ،حيث تعالى بها عن الأطر البلاغية التقليدية التي تلزمها حدودا بعينها وفق النظرية الجمالية كعنصر من عناصر التخييل ، إنها وفي ظل نظرة أكثر تجديدية تنفتح على المؤسسة

المجتمعية بدعوى التداول فنراها استعارات نحيا بها ،ترافقنا في جل أعمالنا اليومية ،و تحضر في كافة أوقاتنا –كما ورد في التحديد الاصطلاحي- .

ثانيا-أركانها: تم تحديدها في الدراسات النقدية على أنها ثلاث هي كالآتي:

-المستعار منه ،وهو المشبه به.

-المستعار له ،وهو المشبه.

-المستعار، وهو اللفظ المنقول.

أما حداها فقد عمد البلاغيون القدماء على تسميتهما بـ" طرفي الاستعارة ،ولابد أن يحذف أحدهم إلى جانب وجه الشبه حتى تصح الاستعارة ،ولابد أن تكون لها قرينة ،ولو نظرنا إلى قوله تعالى:" وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا"[14]. لرأينا أن المستعار هو الاشتعال ،و المستعار منه هو النار ،و المستعار له هو الشيب ،و الجامع بين المستعار منه والمستعار له هو مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب"[15]،حيث شبه الله تعالى الشيب بالنار، فحذف المشبه به -النار- وترك قرينة دالة عليه -الاشتعال-على سبيل الاستعارة المكنية.

ثالثا-نماذجها :

1-قال تعالى :"وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ".

حيث شبه الله تعالى الإنسان بالطائر ،فحذف المشبه به -الطائر- وترك قرينة دالة عليه -الجناح-على سبيل الاستعارة المكنية.

2-قال امرؤ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه و أردف أعجازا وناء بكلكل.

تأتي الاستعارة هنا من قبيل الربط بين المادي و المعنوي ،وقد شبه الشاعر الليل وهو شيء معنوي بالجمل فحذف المشبه به -الجمل- وترك قرينة دالة عليه –تمطى ،الأعجاز الكلكل- على سبيل الاستعارة المكنية.

4-قال أبو الشيص:

سقاني بها والليل قد شاب رأسه غزال بحناء الزجاجة مختضِبِ.

تأتي الاستعارة هنا أيضا من قبيل الربط بين المادي و المعنوي ،وقد شبه الشاعر الليل وهو شيء معنوي بالإنسان الذي بدأ يشيب فحذف المشبه به -الإنسان- وترك قرينة دالة عليه –شاب ،رأسه -على سبيل الاستعارة المكنية.

5-قال أبو تمام:

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه يكفيك ما ريت في أنه برد.

شبه الشاعر الحلم وهو شيء معنوي بالثوب فحذف المشبه به -الثوب- وترك قرينة دالة عليه –رقيق،حواشي- على سبيل الاستعارة المكنية.

-قال تعالى :"في قلوبهم مرض" وقال تعالى أيضا :"واعصموا بحبل الله جميعا ولا تقرقوا"

أما التمثيلية فمن نماذجها : قوله عليه السلام: "المؤمن لا يلدغ من الجحر مرتين"

وكقول المتنبي:

قال معن بن أوس المزني: أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ومن يك دا فم مريض يجد مرا به الماء الزلالا.

حيث شبه عدم الرضا على شعر المتنبي من قبل غيره من الشعراء بالمرض كما قال :

إدا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تحسبن أن الليث يبتسم.

رابعا-وظيفة الاستعارة: ومن هنا ندلف باب الحديث عن الجانب الوظيفي للاستعارة والتي لا تكون حسب الباحثين إلا :"اتساعية،أو تأكيدية أو تجميلية أو توضيحية ،أي أنها صيغة زائدة ،يتم الانتقال إليها حسب رغبة مستعملها ...إنها عنوان التمكن من اللغة وغرائبها ،وضرورة من ضرورات الحياة ،و آلية فعالة للتعليم و تجاوز الحبسات التواصلية لدى الأطفال والبالغين".[16] كما أن الاستعارة من أدوات الزينة اللغوية ؛وهي من الوسائل التي ترفع القيمة الجمالية للنصوص:"إنها تزيين ووشي لاحق باللغة ،وأثرها ينبع من تمازج المألوف مع غير المألوف ، ومن هذا التمازج نحصل على عنصري التجلية و الإدهاش التجلية تستقى من الأداء اللغوي ،و الإدهاش ينبثق من تقديم لذة ذهنية تحصل عليها من إدراك المشابهة الناجمة بواسطة البناء الاستعاري".[17]

تحاول البلاغة التقليدية وضع الاستعارة في حدود المؤسسة الجمالية التي لا تراها إلا في مصاف الشعر،وتحصرها في دائرة الإنجاز اللإعتيادي للغة مكرسة التخييل على حساب التداول و الحجاج ،اللذان شكلا فيما بعد بؤرة البحث في مجال الاستعارة مما فتحها على

النسق العرفاني ،هذا الأخير الذي أخرجها من برجها العاجي في مساحات النصوص الجميلة إلى التداول و الوسط اللغوي الحي في قلب الحياة المجتمعية بشتى مستوياتها، ثم إن الاستعارة من منظور عربي كثيرا ما ارتبطت باللغة و اللفظ و علاقة المشابهة و المماثلة بين شيئين، أما من منظور غربي عرفاني فإنها تكتسب بعدا جديدا ينفتح بها على النسق التصوري والفكري الذي أنتجها .

الهوامش:

[1] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين ،تح مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ،مكتبة الهلال ،دط ،دت، مادة(عير) ج2 ص 239.

[2] أبو الفضل ابن منظور :لسان العرب ،دار صادر ،بيروت، دط ،دت ،مادة(عور)، ج4ص618.

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:البيان و التبيين ،تح عبد السلام هارون ددن،لبنان، ط4، دت، ج1، ص152.

[4] عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز،تح محمد رشيد رضا ،ددن القاهرة، ط1372،5هـ ،ص 335 .

[5] الزمخشري :أساس البلاغةWWW.KOTOB ARABIA.COMص285 .

[6] ابن رشيق القيرواني :العمدة، مطبعة حجازي ،مصر ،دط، 1934 ، ج1 ص243 .

[7] عبد الجبار المطلب :مواقف في الأدب و النقد ،وزارة الثقافة و الإعلام ،بغداد ،دط،1980،ص133 .

[8] يوسف أبو العدوس: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ،الأهلية للنشر و التوزيع ،الأردن،ط1 ،1997،ص57 .

[9] عطية سليمان أحمد :الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية ،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ،مصر ،دط، 2014 ،ص14.

[10] يوسف أبو العدوس :الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ص07.

[11] المرجع نفسه،ص08 .

[12] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[13] المرجع نفسه ،ص57 .

[14] سورة مريم ،آية04 .

[15] أحمد مطلوب :فنون بلاغية ،دار البحوث العلمية ،الكويت، ط1، 1975 ، ص128.

[16] عبد الإله سليم :بنيات المشابهة في اللغة العربية ،دار توبقال ،المغرب ،2001 ،ص 61 .

[17] يوسف أبو العدوس: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث،ص56.